

ومعلوم ان تقوية الجسم انما تتم بالمحافظة على الحالة الصحية واستدامتها والاعضاء لا تقاوم الداء وتثبت امام العوارض الا اذا كانت صلبة البناء وهذه الصلابة ينبغي ان تُكتسب بالتدريج منذ الحداثة الاولى فليس شي من معدّات الطفل للمرض مثل ان يربى كما يقال في علة من قطن. ولذا ينبغي للطفل منذ ولاده ان يعود البرد فلا يُحصَر في حجرة دافئة ولكن يعرّض ما امكن للهواء المطلق. ولمقاومة البرد يجب ان يعود الرياضة البدنية التي بها تُحفظ الحرارة الغريزية لكن بشرط تجنب الافراط فيها وانفع انواع الرياضة له المشي ولا بأس باستعمال الدراجة لكن لا يحسن ان يكون ذلك قبل بلوغه الثانية عشرة من سنه وبشرط ان تكون بحيث توافق قده وقواه وذلك مع كونه قوي البنية بحيث لا يُعبّث استعمالها تعباً يوجب الاعياء ويفضي الى الهزال. وكذلك الرياضة الفنية المعروفة بالجمناستيك لكن مع التدريج البطيء في اطوارها. ولا بدّ مع استعمال الرياضة من العناية بامر التغذية لا خلاف ما يتحلل من البنية لكن من غير افراط ومما ينبغي تجنب الافراط فيه المشروبات الروحية فانها تشوش اعمال الجهاز العصبي والهضمي والدوري وكثيراً ما تكون مهيئة لقبول العدوى وكذلك ينبغي تجنب الافراط في التمتع والرفاهية والراحة ومنع الضغط على الاعضاء بتضييق الملابس ولا سيما على الحصر والاعضاء الصدرية كما تفعله المولعات بطلب الجمال وخصوصاً الشابات اللواتي لم يتكامل نموّ بنيتهم بحيث يحولن اعضاء التنفس عن وضعها الطبيعي ويضغطن على آلات الهضم فان ذلك من اعظم المهيئات للعلل التدريجية

ويجب التوفر التام على العناية بامر المسكن فانه ينبغي ان يكون بحيث يدخله النور والهواء بكثرة وقد جاء في مثل قديم من امثال الفرس « حيث يقل دخول الشمس والهواء يكثر دخول الطبيب » فانه لا شيء اقلل للجراثيم المرضية من الشمس ولا شيء اشدّ ضرراً في المنازل من اكثار الستائر ومضاعفتها فانها اولاً تحجب النور الذي هو من اعظم اسباب الصحة وثانياً تكون موضعاً تعشش فيه تلك الجراثيم بما يتجمع بين اثنائها من الغبار

هذا اهم ما ينبغي اتخاذه من اسباب الوقاية ولا حاجة الى ذكر سائر الاحتياطات المشهورة من مثل نظافة البدن والملابس والمسكن وتخزين انواع الغذاء غير انه لا بدّ لنا ان نكرر الاحاح فيما يتعلق بامر الصغار وتربية ابدانهم على الطريقة التي تمنع اعدادهم لهذا الداء الويل لما ان الامر يرجع في الاكثر الى حالة البنية كما اسلفناه فان قوتها اعظم مقاوم له وسلامتها اصدق ضامن للوقاية منه والله الوافي

غوائل الحروب

ما ترى الطير اقبلن اسراباً تحسبها سحاباً يملأ عنان الفضاء ويحجب وجه السماء فاجتمعن فوق بقعة اعد فيها الانسان وليمة من لحوم اخوانه وجسوم بني جنسه وتداعت الوحوش من الاودية والاكام وقد برزت من الكهوف والآجام فتواردت من كل فجٍ متسابقة متدافعة

لتروي ظمأها من دم الانسان وتملاً بطونها من لحمه فتقتص منه عما ارهقها من الجهد والبلاء والمطاردة في اكناف العراء وهي تتحدث بقسوته وفظاظة طباعه وقد بلغ منهما ما لم تبلغه هي على شراستها ودناءة جبلتها. وذلك بعد معترك قام به الطعان بين فئتين من بني الانسان والتحم القتال فاظلم الفضاء بالدخان المتكاثف وارتجت الارض بالعود القواصف من دوي المدافع التي تنبعث كراتها الهائلة فتحصد النفوس حصداً وتخر لها المدن والاسوار هداً. وقد فقدت من الانسان عاطفة الرقة والحنان فانقلب وحشاً ضارياً ينقض على ابن جلدته فيمزقه كل ممزق وتتراكم جثث القتلى فتحسبها تلالاً وماهي بتلال وانما هي اجساد الرجال بجوهرها الانساني ونفوسها الناطقة. ويمشي القائد الظافر مفتخراً يكاد ينطح برأسه السماء ويداه ملطختان بالدماء يفيض بهما رسائل التهاني من الملوك والامراء فتتركان فيها اثر الهمجية والعار وسمه الخزي والشنار

وليت شعري اي فضل اتى ذلك القائد واي سعادة جرّها الى الانسانية حتى ينال لاجلها جميل الذكر ويكافأ عليها بالثناء والشكر سوى انه كان قاسي القلب فظ الطباع جامد الشعور فأمر بسفك الدماء وتدمير البلاد وصبر على مشاهدة ما ارتكب من الفظائع في بني جنسه دون ان يندى له جفن او تتحرك فيه عاطفة ثم داس برجليه ركام القتلى وخاض بهما سيول الدماء وهو يتخيل انه انما يدوس يفاع الفخر ويخوض غمار المجد وقصاراه ان يتفلك في هنيهة من عصر الحضارة والنور الى ما سبق من ظلمات الحشونة في سالف العصور

هل بلغ من غباوة البشر ان سُدل على تصوراتهم هذا الحجاب الكثيف ام انحط الانسان بجبلته عن الدرجة التي خلق عليها ام لا يزال يتسلسل فيه ما ورث عن آباءه الاولين من ان السلب والقهر عنوان العزة والفخر وان السفح والتدمير اساس المجد والحسب الثمير ايام قام امثال اسكندر وأنيبال وتيمور ونابوليون الذين دمروا المدن وابادوا مئات الالوف من بني الانسان وعاثوا في جسم الانسانية فساداً ففعلوا به ما لم تفعله الاوبئة الخيفة والناس مع ذلك يقيمون لهم التماثيل ويخصونهم بكل تعظيم وتبجيل وقد ملأوا صحف التواريخ بذكر اعمالهم محفوفة بالثناء عليهم والاعجاب بما أوتوا من الذكاء والاقدام وهم لم يستخدموا ذلك الذكاء الا فيما يؤيد سطوتهم ويمكن هيبتهم في النفوس ويبلغهم ما تطمح اليه مطامعهم من الاثرة والسيادة ولا رأينا من اقدامهم الا استباحتهم لكل محظور من المظالم والمحرمات وركوب الفظائع والموبقات مع انه لا يصعب على الانسان كما قال احد فلاسفة القرنيس ان يتصف بالظلم ويمارسه ولا هو مما يحق الافتخار به. وليت شعري الا يفضل على هؤلاء امثال ارسطو وابقراط ونيوتن وبستور وسائر اهل الفلسفة ورجال الطب وخدام المدنية وناشري الوية العلم الذين كشفوا للناس سر الوجود واسسوا لهم قواعد الحضارة وارشدوهم الى سعادة الحياة وخففوا عنهم وطأة الشقاء فما اعظم الفرق بين الفئتين

وان قيل ان فضل اولئك الغزاة انهم خدموا بلادهم ووسعوا نطاقها وزادوا ثروتها بما ساقوا اليها من موارد الكسب وما اخضعوا لها من الامم

قلنا ان هذه هي الاثره بعينها فان هذه من المنافع الخاصة بفريق دون آخر بل هي من تضحية قوم لقوم على ان شرائع العدل الطبيعي لا تجيز ان يبلغ الى الثروة على اجسام الرجال ولا ان تشرى البلاد بالنفوس الغوال
ألا ما لزعماء الاصلاح واهل النور ودعاة التمدن وارباب الاحكام وواضعي الشرائع قد صمّت آذانهم وصمّت افواههم وسدل ذكر الفوز ستاراً على ابصارهم فهم لا ينظرون وقد كانوا من قبل ينادون بسمو فطرة الانسان وعلو شأنه في الوجود وصيانة حقوقه وحفظ كرامته واجتناب مضرته فما بالهم لا يبالون بالالوف منه تسقط تحت حدود السيوف وتتأثر اشلاؤها في مجازر الوغى وتهدم ديارها وتغنم اموالها ويغصب عقارها وتذهب نساؤها وعيالها فريسة الجوع والشقاء وسائر انواع البلاء

افي العدل ان يرفع احدهم يده الى السماء متهدداً باسم الشرع كل فرد من الامة يعتدي على اخيه او يغصب حقاً من حقوقه ثم يسلمه باليد الاخرى سيفاً ويأمره ان يذهب ويقاتله حتى اذا عاد ظافراً نال على ذلك اسنى المكافاة وعُدّ من عظماء الرجال

اوليس من الغريب انهم يجتهدون في اختراع اشد الآلات فتكاً واعظمها ابادة وتدميراً فيرسلونها الى ميادين الحرب ثم يصحبونها باعضاء جمعيات الرحمة لمداواة المرضى واساوة المجروحين . فكيف يكون بعد تلك القسوة شفقة ام هل يجتمع الظلم والرحمة والعنف واللين . لا جرم ان تلك فصول تمثيل مضحك يموه بها على عيون الناظرين فيشتغلون بلهوها عن ان يسبروا غورها وما زال الانسان وحشي الطبع وان تنكر تحت ثوب

الانس والرفقة تمويهاً وزوراً وتستمر بما يسميه تمدناً وهو عن التمدن بمراحل ويسألون متى يتاح للمجتمع الانساني ان يتمتع بنعيم السلام وهناءة الالفة والوئام فيطرح السلاح وتلغى الحروب وتنقضي الغارات وتبطل الفظائع وتنصرف الامم الى اصلاح شؤونها والتوفر على اسباب سعادتها ونعيمها وهل يدخل الانسان ذلك الطور في احد عصوره ام تبقى تلك الامنية في رؤوس بعض عظماء الرجال لا تخرج عن حيز التمثيل والخيال . وهيهات ان ذلك لما يستحيل بلوغه على الانسان وهو على ما عرف به من الطمع والاثرة التي غرستها فيه يد الفطرة فليس ينزع عنه الا بتوالي العصور وتنام انتشار العلم والمعارف حين تتطهر الاهواء وتعلم النفوس فلا يساق افراد الامة الى طريق الخير كرهاً وهم جاهلون المصير بل يسعون اليه عن رغبة واقتناع . وان قيل ان امتداد التمدن لا يكفل بلوغ تلك الغاية لانه يشاهد بامتداد امتداد الشرور وبانتشاره انتشار فظائع جديدة لم تكن معروفة من قبل فهو غير قادر ان يستأصل من الفطرة الانسانية ما لازمها من الخواص الحيوانية قلنا ربما لا يصعب على الطبيعة التي تخفض الجبال وترفع السهول وتغير وجه البسيطة في كل زمان ان تغير شيئاً من فطرة الانسان

موسى صيدح

عدد السبعة

لحضرة الفاضل مجايل افندي اسطنبولية في دمشق

(نثمة ما في الجزء السابق)

وقد بقي في كلامهم عدة آثار تدل على اعتقادهم الفضل والقوة في السبعة